

بانجادكم» (٢٥٦). وهي موقعة ان يافاسوف تسقط لا محالة، وان الدفاع عنها خطأ عسكري. وهكذا لولا بقاء القليل من السكان، ولولا اندفاع اربعة من هؤلاء الباقين لتأليف لجنة طوارئ، وللتكلم باسم المدينة، لكان باستطاعة العدو ان يقول للتاريخ انه عندما دخل مدينة يافا لم يكن فيها قيادة ولم يكن فيها شعب.

٦- سقوط صفد، ١١ ايار (مايو)

كانت مهمة الدفاع عن صفد منوطة بجيش الانقاذ، فهي تقع في المنطقة الشمالية التي تولي قيادتها الرئيس اديب الشيشكلي، لذلك، تألفت حامية المدينة من جيش الانقاذ في القسم الاكبر منها، بالإضافة الى شباب البلدة المناضلين والمقاتلين الاردنيين، وقد بلغ عدد المقاتلين اجمالاً ستمائة مقاتل، الا ان عدد المقاتلين اليهود كان اكبر، وخاصة بعد سقوط حيفا.

في السادس عشر من نيسان (ابريل) انسحب الانكليز نهائياً من صفد، فبادر العرب بهجوم مكثف واحتلوا المواقع الهامة كلها. ثم تعززت الحامية عندما ارسل قائد المنطقة في السابع عشر من نيسان (ابريل) فصيلين بقيادة الملازم عبد الحميد السراج والملازم هشام العظم. وعندما وصل مائة مقاتل من الاردن، بادر القائد الى تعيين الرئيس ساري الفنيش قائدا للحامية واميل جميعان مساعدا له، وكلاهما من ضباط الجيش الاردني الذين انضموا الى جيش الانقاذ. (٢٥٧)

ابتدأ القتال العنيف منذ الاول من ايار (مايو)، وقد ركز اليهود نيرانهم على المدينة والقرى المحيطة بها، فسقطت قرية عين الزيتون وقرية بيريا، وقد رفض قائد الحامية انجاد عين الزيتون بحجة انها لا تدخل ضمن اختصاصه، فمهمته الدفاع عن المدينة وحدها، واثّر سقوط القريتين ابتداء السكان بالرحيل، كما ابتداء اليهود باستقبال التجديدات القادمة في عشرات السيارات. (٢٥٨)

ذهب وفد من صفد ليطالب المعونة من اللجنة العسكرية، وكذلك قدم الرئيس اديب الشيشكلي مجموعة من الطلبات فرد عليه رئيس اللجنة بالمثل المعروف: «العين بصيرة واليد قصيرة». وسافر رئيس البلدية زكي قدورة الى عمان حيث شرح الاوضاع للملك عبد الله، وكان رد الملك: «لم لم تذهب الى القوتلي الذي دخل المعركة قبل ان يكون مستعدا لها»، ثم اعتذر الملك كالعادة بأنه لا يستطيع الدخول قبل الخامس عشر من ايار (مايو). وفعلاً، ذهب رئيس البلدية الى دمشق وقابل الرئيس شكري القوتلي في الثامن من ايار (مايو)، فأجابه بأن «صفد قيد اهتمامه». (٢٥٩)

- (٢٥٦) عارف العارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٢، الجزء الأول، ص ٢٥٦.
(٢٥٧) المصدر نفسه، ص ٣٠٢ - ٣٠٣.
(٢٥٨) المصدر نفسه، ص ٣٠٤.
(٢٥٩) المصدر نفسه، ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

استأنف العرب القتال على الرغم من سحب اميل جميعان جنوده من عمارة ميتغارت في اعلى موقع في المدينة بلا مبرر، وقد كان الدفاع عن مبنى البلدية والبوليس مسؤولية السرية الاردنية، وعن العلقة مسؤولية سرية المتطوعين السوريين، وعن الاماكن الحساسة كمفارق الطرق مسؤولية المقاومة الشعبية من اهل المدينة، وقبيل سقوط صفد تعزز الدفاع بوصول سرية اردنية بقيادة عز الدين التل، وكانت الخطة العربية التي وضعها الشيشكلي تقضي باستبدال الدفاع بالهجوم، وحددت ساعة الهجوم على المراكز اليهودية المحيطة الرابعة والنصف من فجر العاشر من ايار (مايو)، ولكن عوضاً عن تنفيذ خطة الهجوم سقطت صفد في منتصف الليل اثر هجوم شرس قام به اليهود واستعملوا فيه راجمات اللغم. (٢٦٠)

كان من اهم اسباب سقوط المدينة استهتار آمر الحامية ومغادرته المدينة قبيل المعركة تاركاً مهمة القيادة لثائبه اميل جميعان، وقبل مغادرته كان يبث بين الجنود والضباط فكرة عدم جدوى الاستمرار في الدفاع عن المدينة، كما انه تجاهل تعليمات الخطة الهجومية الجديدة واستبدلها بخطة دفاعية اوكل بها الى الملازم الاول عز الدين التل، ولم تستطع سرية التل الصمود لانها كانت حديثة العهد بالقتال (٢٦١).

وكانت النهاية عندما اتصل اميل جميعان بالشيشكلي ينبئه بسوء الحالة، فأصدر اليه الشيشكلي الاوامر بالانسحاب. وألقت وزارة الدفاع القبض على آمر الحامية ساري الفنيش، وارادت محاكمته، الا ان الملك عبد الله تدخل في الامر فأخلى سبيله، ويقول المؤرخ عارف العارف ان اليهود بقوا مشدوهين ليومين كاملين وهم لا يصدقون ان صفد قد سقطت، وانه لم يبق فيها عربي واحد. (٢٦٢)

٧- سقوط بيسان، ١٢ ايار (مايو)

تعرضت بيسان- البلدة الصغيرة- الى هجوم غادر في اليوم التالي لسقوط صفد مباشرة، فقد هاجمها مئات من اليهود المسلحين بالرشاشات والاسلحة الاوتوماتيكية، وسارعت حامية بيسان من المناضلين الفلسطينيين والاردنيين الى التصدي، غير انها لم تصمد اكثر من ثلاث ساعات.

لاول مرة سمح اليهود للسكان بالبقاء، ولم يعملوا الى الترحيل المباشر او غير المباشر، ولكنهم اشترطوا على سكان بيسان ان يسلموا اسلحتهم.

ورضي بهذه الشروط سكان بيسان، وبقي سكان بيسان.

- (٢٦٠) جادو عز الدين، «سقوط مدينة صفد: من مذكرات حرب فلسطين - جيش الانقاذ»، مجلة شؤون فلسطينية، العدد ٢١، ايار (مايو) ١٩٧٣، ص ٩٥، ١٠١.
(٢٦١) المصدر نفسه، ص ١٠٢ - ١٠٣.
(٢٦٢) عارف العارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٢، الجزء الأول، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.